

تفسير البحر المحيط

@ 500 @ الكاف والذال جمع كذوب ، نحو صبور وصبر ، أي : سماعون للكذب الكذب . .
{ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوِّمٍ ءَاخِرِينَ } فيحتمل أن يكون المعنى :
سماعون لكذب قوم آخرين لم يأتوك أي كذبهم ، والذين لم يأتوه يهود فدك . وقيل : يهود
خير . وقيل : أهل الرأبين . وقيل : أهل الخصام في القتل والدية . ويحتمل أن يكون
المعنى : سماعون لأجل قوم آخرين ، أي هم عيون لهم وجواسيس يسمعون منك وينقلون لقوم
آخرين ، وهذا الوصف يمكن أن يتصف به المنافقون ، ويهود المدينة . وقيل : السماعون بنو
قريظة ، والقوم الآخرون يهود خيبر . وقيل لسفيان بن عيينة : هل جرى ذكر الجاسوس في كتاب
الإنجيل ؟ فقال : نعم . وتلا هذه الآية سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك : صفة لقوم آخرين .
ومعنى لم يأتوك : لم يصلوا إلى مجلسك وتجاؤا عنك لما فرط منهم من شدّة العداوة
والبغضاء ، فعلى هذا الظاهر أن المعنى : هم قائلون من الأخبار كذبهم وافتراؤهم ، ومن
أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرّون أن ينظروا إليك . .
{ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ } قرء الكلم بكسر الكاف وسكون اللام
أي : يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعها الإنجيل . قال ابن عباس والجمهور : هي
حدود الإنجيل في التوراة ، وذلك أنهم غيروا الرجم أي : وضعوا الجلد مكان الرجم . وقال الحسن
: يغيرون ما يسمعون من الرسول عليه السلام بالكذب عليه . وقيل : بإخفاء صفة الرسول .
وقيل : بإسقاط القود بعد استحقاقه . وقيل : بسوء التأويل . قال الطبري : المعنى يحرفون
حكم الكلام ، فحذف للعلم به انتهى . ويحتمل أن يكون هذا وصفاً لليهود فقط ، ويحتمل أن
يكون وصفاً لهم وللمنافقين فيما يحرفونه من الأقوال عند كذبهم ، لأن مبادء كذبهم يكون
من أشياء قيلت وفعلت ، وهذا هو الكذب الذي يقرب قبوله . ومعنى من بعد مواضعه : قال
الزجاج من بعد أن وضعه الإنجيل مواضعه ، فأحلّ حلاله وحرّم حرامه . .
{ يَقُولُونَ إِنِّهٗ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَاخُذُوهُ } الإشارة بهذا قيل : إلى التحميم
والجلد في الزنا . وقيل : إلى قبول الدية في أمر القتل . وقيل : على إبقاء عزة النضير
على قريظة ، وهذا بحسب الاختلاف المتقدم في سبب النزول . وقال الزمخشري : إن أوتيتم ،
هذا المحرّف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق ، واعملوا به انتهى . وهو راجع
لواحد مما ذكرناه ، والفاعل المحذوف هو الرسول أي : إن أتاكم الرسول هذا . .
{ وَإِن لَّكُمْ تَوَّاتٍ ؕ فَاحْذَرُوهُ } أي : وإن أفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم
من قبوله فهو الباطل والضلال . وقيل : فاحذروا أن تعلموه بقوله السديد . وقيل : أن

تطلعوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به . وقيل : فاحذروا أن تسألوه بعدها ،
والظاهر الأول لأنه مقابل لقوله : فخذوه . فالمعنى : وإن لم تؤتوه وأتاكم بغيره فاحذروا
قبوله . .

{ وَ مَن يُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَا تَمْلِكُ لَهُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا } قال
الحسن وقتادة : فتنه أي عذابه بالنار . ومنه يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون .
وقال الزجاج : فضيخته . وقيل : اختباره لما يظهر به أمره . وقيل : إهلاكه . وقال ابن
عباس ومجاهد : كفره وإضلاله ، يقال : فتنه عن دينه صرفه عنه ، وأصله فلن يقدر على دفع
ما يريد إلا منه . وقال الزمخشري : ومن يرد إلا فتنته تركه مفتوناً وخذلانه ، فلن تستطيع
له من لطف إلا وتوفيقه شيئاً انتهى . وهذا على طريقة الاعتزال . وهذه الجملة جاءت تسليّة
لِلرّسول وتخفيفاً عنه من ثقل حزنه على مسارعتهم في الكفر . وقطعاً لرجائه من فلاحهم . .
{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ أَن يُّطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ } أي سبق لهم

في علم إلا ذلك ، وأن يكونوا مدنسين بالكفر . وفي هذا وما قبله ردٌّ على القدرية
والمعتزلة . وقال الزمخشري : أولئك الذين لم يرد إلا أن يمنحهم من ألطافه ما يظهر به
قلوبهم ، لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع ولا تنجع فيها . إن الذين لا يؤمنون
بآيات إلا لا يهديهم إلا كيف يهدي إلا قوماً كفروا